المنطلقات الفلسفية اللغوية للفكر اللساني الاجتماعي في التراث العربي

Linguistic philosophical starting points of sociolinguistic thought in the Arab heritage

عبد المالك قرل *،

المركز الجامعي نور البشير(البيض) ،

Mgrele333@gmail.com

تاريخ الاستلام:2021.09.07

تاريخ القبول: 2022.03.30

تاريخ النشر: 2022.03.31

Ex PROFESSO

المجلد 07، الرقم 01، السنة2022

ملخص

اللغة ظاهرة اجتماعية ملازمة للإنسان ككائن ناطق من خلال ممارسته لها رمزا وقولا، مع توخي القوانين التي تمكنه من التواصل والتعبير عن حاجياته، إذ لا يمكن فهم لغة ما إلا باللغة التي حددها فكرنا، ومن هنا حاولت فلسفة اللغة أن تستخلص فهم اللغة علميا من قبل علم المعاني وعلم التراكيب وعلم الأسلوب وعلم العلامات وفقه اللغة، إلا أن ما نصبوا إليه في هذا البحث هو محاولة تقديم مقاربة فلسفية للغة ومدى تقاطعها مع الفكر اللساني العربي وكيف أفضت إلى مصطلح اللسانيات الاجتماعية في التراث العربي؟

الكلمات المفتاحية: اللغة، الفلسفة، المجتمع، الفكر، التراث، اللسانيات.

Abstract

Language is a social phenomenon which is inherent to man as a speaking creature through its practice as symbols and words, with his commitment to the laws that enables him to communicate and express his needs. This is because language can only be understood in the language defined by our thought. Hence, the philosophy of language tried to get the understanding of language scientifically by semantics, syntax, stylistics, semiotics and etymology. However, what we aimed at in this research is an attempt to present a philosophical approach to language and the extent of its intersection with Arabic linguistic thought, and how it led to the term 'sociolinguistics' in the Arab heritage.

Keywords: language, philosophy, society, thought, heritage, linguistics

Url de la revue :
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/484

* -المؤلف المراسل.

مقدّمة:

شكلت اللغة موضوع اهتمام الفلاسفة في الفكر القديم والوسيط بوصفها وسيلة للفكر وانطلقت النظريات القديمة والوسيطة من أطروحات اتفاقية اللغات ومواضعتها وطبيعتها أو سرها الإلهي باعتبارها لغات الوحي، وكان جدل القرون الوسطى يتعامل مع الكلمات كأشياء بوصفها ماهيات قائمة في ذاتها وكان للفكر النحوي العربي دور أساسي في التأويل المنطقي للغة والتمييز بين التأويل النحوي للغة والتأويل المنطقي لها انطلاقا من "....فلسفة اللغة التي تستعين باللسانيات لحل المشاكل الفلسفية، ومثال ذلك لو تساءلنا عن مشكلة التحقق ،فلا يمكننا فعل ذلك إلا من خلال التأكد من التركيب النحوي للجمل"[1].

وعليه لابد من الرجوع إلى التراث العلمي العربي الأصيل والنظر فيما تركه أولئك العلماء الفطاحل الذين عاشوا في الصدر الأول من الإسلام حتى القرن الرابع الهجري، وتفهم ما قالوه وأثبتوه من الحقائق العلمية التي قلما توصل إلى مثلها كل من جاء قبلهم من علماء الهند واليونان[2].

إل ذلك يرى عبد السلام المسدي: "أن العرب بحكم مميزات، وبحكم اندراج نصهم الديني في صلب هذه المميزات، قد دعوا إلى تفكر اللغة في نظامها وقداسيتها.. ومراتب إعجازها فأفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي كوني فحسب، بل قادهم النظر أيضا إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية، مما لم تهد إليه البشرية إلا مؤخرا بفضل ازدهار علوم اللسان منذ مطلع القرن العشرين[3].

ويبدو واضحا أن هذا الباعث هو من أهم الأسباب التي اهتدى إليها "الفكر العربي باعتبارأن اللغة بيد الإنسان مفتاح يلج به باب العالم الخارجي، بل هي المفتاح الوحيد الذي يتوصل به الإنسان إلى اقتحام الكون من حوله، وهي بذلك الجسر الفريد الذي يتحاور عبره مع الوجود ليتفاعل معه متخذا إياه مجهرا يعكس تميز الموجودات بعضها من بعض، واللغة بهذا الاعتبار ترتقي في منازل الوجود الإنساني وكمالاته فتغدو صورة لتوازي مداركه في التدرج نحو استيعاب الكون وجودا وعقلا ثم تصرفا فروية"[4].

إن بدايات التفكيرفي البحث عن أصل اللغة ونشأتها، كان سببا في نشأة علم يدعى علم اللغة(اللسانيات)، الذي اهتم به الإنسان، كونه وجد أن اللغة أداة تواصل متميزة بين أفراد المجتمع الواحد، سواء أكانت هذه اللغة منطوقة، أم مكتوبة[5].

ومن أهم القضايا التي تناولها اللغويون العرب: مسألة نشأة اللغة، مثل غيرهم من الأمم السابقة في تناول هذه القضية[6]، إذ ورث العرب من التفكيراليوناني القديم مفهومي الطبيعة

والعرفية، اللذين دار حولهما جدال ونقاش كبيران، ولزمن طويل، فانشطروا عدة فرق: فريق منهم ينتصر للفكرة الطبيعية الذاتية وفريق ينتصر للاتفاق والاصطلاح[7] .

I. نظرية التوقيف: (الوحي والإلهام)

بذهب أنصار هذه النظرية إلى أنّ الله سبحانه وتعالى أوحى إلى آدم وألهمه أن يضع أسماء الأشياء التي خلقها، ويستند أنصار هذه النظرية إلى أدلة نقلية مقتبسة من الكتب المقدسة، فاليهود والنصارى يستدلون بما ورد في التوراة من قولها: " وجبل الرّب الإله من الأرض كل الحيوانات البرية وكل طيور السماء، فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها، فسمى آدم جميع البهائم وطيور السماء وجميع الحيوانات البرية "[8].

أما العرب ممن يؤيدون هذا المذهب فيستدلون بقوله تعالى: (وعلّم آدم الأسماء كلّها)، والمقصود بالأسماء، هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة، وأرض....وما أشبه ذلك من الأمم وغيرها، وقد ارتضى ابن فارس هذا المذهب أما ابن جني فكانت وجهة نظره حول هذه النظرية أو هذا المذهب تتلخص في قوله: " وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أنّ واضع عليها "[9].

II. نظرية الاصطلاح

ذهب بعض اللغويين العرب إلى أنّ أصل اللغة تواطؤ واصطلاح، بين جماعة الناطقين بها ويلخص ابن جني وجهة نظرهم – ولو أنّه لم يقطع بصحتها – في كتابه الخصائص بقوله: " أنّ أصل اللغات لا بد فيه من المواضعة قالوا: وذلك بأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا، فيحتاج إلى الأشياء والمعلومات فيضع لكل واحدة منها سمة ولفظة، إذا ذكر عرف به مسماه ليمتاز عن غيره وليغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين، فيكون ذلك أقرب وأخف...من تكلف إحضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله فيحتاج في كثير من الأحوال إلى ذكر ما لا يمكن إحضاره ولا إدناؤه كالفاني وحال اجتماع ضدين عل المحل الواحد... وكأنّ على أصحاب هذا الرأي، أولا: أن يفسر تعدد اللغات وتنوعها فقالوا بإمكان انتقال المواضعة إلى غيرها، فإذا كانت مجموعة من الناس قد اتفقت على وضع أسماء لمسميات، فإن أفراد هذه المجموعة كان بإمكانهم أن يتفقوا على إبدال أسماء جديدة بأسماء قديمة، فقالوا: " الذي اسمه إنسان فليجعل "مرد" والذي اسمه رأس فليجعل مكانه "يسر"[10].

وعلى هذا بقية الكلام، ولكي يفند هذا الفريق حجة خصومه القائلين بأنّ اللغة وحي وتوفيق ذهب إلى أنّه سبحانه لا يمكن أن يواضع أحد على شيء، لأنّ المواضعة تحتاج إلى إيماء وإشارة

بالجوارح إلى الأشـياء المراد تسـميتها، وسـبحانه لا جوارح له، أي أنّ هذا الفريق يصـادر على المطلوب كما يقول المنطقيون، بمعنى أنه يعتبر المواضـعة أمر مفروغ منها ثم ينفيها عن الله سبحانه، ومن ناحية أخرى فإنّ التواضع يستلزم قدرة المتواضعين على الكلام أي وجود لغة قبل التفاهم والتواضع[11].

III. : نظرية محاكاة أصوات الطبيعة

تتلخص هذه النظرية بأنّ الإنسـان اقتبس أسـماء الأشـياء من أصـواتها أي أنّ الكلمات تكون نتيجة لتقليد أصوات الطبيعة صادرة عن الإنسان أو الحيوان، ويطلق علماء الغرب على مثل هذه الكلمات Ono mat قال ابن جني: " وذهب بعضـهم إلى أنّ أصـل اللغات كلها إنّما هي الأصـوات المسـموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء...ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد. وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل "[12].

ولقي هذا الرأي معارضـة شـديدة من الباحثين الذين قالوا بأنّه لو دلّت الألفاظ بذاتها على المعاني لاسـتطاع كل واحد أن يفهم جميع اللغات لعدم اختلاف الدلالات الذاتية[13]، وقد استند أنصار هذه النظرية على ((ما نجده في بعض الأحيان من اشتراك في بعض الأصوات في الكلمات التي تحاكي الطبيعة في عدة لغات، فإنّ الكلمة التي على الهمس هي في العربية كما تعرف " مس " وفي الانجليزية " whisper " وفي الألمانية " فلوسترن " (flustern) وفي العبرية " صفصف "..... فالعامل المشترك بين هذه اللغات جميعا في تلك الكلمة هو صوت الصفير: السين والصاد وهو الصوت المميز لعملية الهمس في الطبيعة[14].

IV. نظرية اللغة توفيق واصطلاح

حاول بعضـهم أن يوفق بين الرّأيين وذهب إلى تأويل قوله تعالى: (وعلّم آدم الأسـماء كلّها) بأنّه سـبحانه وتعالى " أقدر آدم على أنّ واضـع علها " أي وهبه القدرة أو الملكة على الكلام وتعلم اللغة وهذه الملكة هي التي تنقص الحيوان، ولما كان الاصـطلاح يحتاج عقلا إلى لغة للتعبير عنه فإنّ بعضـهم يرى أنّ بعض اللغة في البداية كان بوضـع الله تعالى، والباقي بوضـع الناس، أي أنّ الابتداء من الله والتتمة من الناس، وهو رأي ابن إسحاق الإسفراييني[15].

ومن ثمة يبدو أنه مهما كانت الطريقة والسـبيل الذي سـلكه الإنسـان لإنشـاء اللغة بداية، فإن الغاية الأسـاسـية للغة والغرض الأول منها هو الاتصـال والتفاهم بين أفراد المجموعة البشـرية، إذ لا فائدة من لغة لا تؤدي هذا الغرض ولا تقوم بهذا الدور، إذ تناول الفلاسـفة واللغويون العرب مسـألة الدال والمدلول كابن الجن، وهل اللغة مواضـعة أم اصـطلاح؟ وتعرض مع ابن فارس والخليل لصـلة اللسـان بالنطق، ويمكن تقديم هذه الأمثلة في حذق

قضايا اللغة وفلسفته: أولا الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه العين، وابن فارس في كتابيه المقاييس والمجمل، وابن جني في خصائصه.

الخليل بن أحمد الفراهيدي:

عمد جامعو الألفاظ العربية في مرحلة مبكرة إلى استخراج كثير من الألفاظ التي ترد في النصوص الشعرية المختلفة إسلامية وجاهلية ،ثم شرحوا تلك الألفاظ وفسروها، وحذا حذوهم أصحاب المعجمات ومنهم الخليل بن أحمد الفراهيدي "الذي اهتم بغرائب الظاهرة اللغوية، بعقله المجرد، وفكره الرياضي الثاقب، يعتبر بمثابة الكمبيوتر لعصره، كما يعتبر بالمفهوم العصري الحديث، مؤسس البحث النظري والتطبيقي، في جمع المادة اللغوية، حيث استطاع بما توفر لديه من ذاكرة، وبيئة ذهنية متكاملة، أن يثري المكتبة العربية الإسلامية بأروع ما خلفته الحضارة الإنسانية "[16].

إن تأليف كتاب العين كان طفرة وسابقا لأوانه، إذ لم تكن حركة جمع اللغة قد انتهت من عملية استقصاء اللغة وتسجيلها بشكل تام، ولم يشاركه هذا السبق إلا أبو عمر الشيباني (206 هـ) في معجمه (كتاب الجيم) إلا أنه خالف نهج الخليل الصوتي، وتدين علوم العربية لهذا العبقري بالفضل فهو ابتكر نظاما رياضيا لحصر مفردات اللغة فأهداه حسه الموسيقي إلى وضع أسس ترتيب المعجم ترتيبا أبجديا على أساس صوتي يعتمد على مخارج الحروف وهو وضع نصب عينه تحقيق فكرتين:

الأولى: معالجة جميع مفردات اللغة أو بعبارة أدق جمع مواردها وشرحها

الثانية: وضع ذلك في نظام يؤمن معه، التكرار أو فوات المواد[17].

كان غرض الخليل الرئيسي هو استيعاب كلام العرب وحصر الثروة اللفظية حصرا شاملا، لأن الوسائل اللغوية السابقة لا تسير في جمع اللغة على أسس علمية ثابتة، ولا يمكن عن طريق هذه الرسائل جمع اللغة وحصرها حصرا شاملا كما أنها لا تخلو من التكرار 18.

ولقد حصر أشعار العرب عن طريق أوزانها في العروض، وزمّ أصناف النغم وحصر أنواع اللحون في الموسيقى وأراد أن يعمل نوعا من الحساب تمضي به الجارية إلى البياع فلا يمكنه أن يظلمها فعودل عنه19.

بيد أن الطابع اللغوي للنظرية الخليلية هو ما يفسر بالضبط الاتجاه الصوتي في معجمه، إذ يقول:"إن أصل اللغات في العربية ثلاثة.. إنما يتكلم عن المرحلة الأخيرة التي استقرت عندها اللغة، في عهدها، لا العربية الموغلة في التقدم، والتي تختلط بالساميات، والخليل وإن راعى اللغة الحاضرة، إلا إنه كانت له نظرات ثاقبة حصيفة في مسألة تطور اللغة، وهو من أهم

المرسيين، لهذا المنحى من الدراسة والتي راعى غراسها من بعده، ابن فارس وابن جني، ثم ما لبثت أن جف معينها، ونضب عطاؤها"20

ويضيف حسي نصار:"..حتى انبرى لها ثلة من لغوي هذا العصر الحديث، ممن أعاد لها رواءها، وزادها رونقا ونظارة من هؤلاء:أحمد فارس الشدياق(سر الليال)، وجرجي زيدان (الفلسفة اللغوية)..والأب مرمرجي(المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية.."21

ابن جني:

كتاب الخصائص هو أحد أشهر الكتب التي كتبت في فقه اللغة وأسرار العربية وقائعها، قام بتأليفه ابن جني، الذي يقول في مقدمة كتابه عنه :"كتاب لم أزل على فارط الحال، وتقادم الوقت، ملاحظا له، عاكف الفكر عليه، منجذب الرأي والروية إليه وأدا أن أجد مهملا أقيله به، أو خللا أرتقه بعمله، والوقت يزداد بنواديه ضيقا، ولا ينهج إلى الابتداء طريقا، هذا مع إعظامي له، وإعصامي بالأسباب المناطة به، واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صنف في علم العرب، وأذهبه في طريق القياس والنظر.. وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة.."22

أخذ النحو من أحمد بن محمد الموصل الشافعي المعروف بالأخفش، وقد أخذ فيما بعد عن أبي علي فأكثر الأخذ عنهن وهو الذي أحسن تخرجه ونهج له البحث وفن له سبل استقصاء والتوسع في التفكيروقد اخذ عن الكثيرمن رواة اللغة والأدب ومن هؤلاء أبو بكر حسن المعروف بابن مقسم، وهو من القراء وكان رواية ثعلب ويروي ابن جني عنه أخبار ثعلب وعلمه وابن مروي كثيرا من الأعراب الذين لم تفسد لغتهم: وقد اتبع سلفه من اللغويين وكان لا يأخذ عن بدوي غلا بعد أن يمتحنه ويتثبت من أمره وصدق نجيزته23

وقد ألف بن جني العديد من الكتب التي أحصاها: الياقوت في معجمه فقد بلغت تسعة وأربعين كتابا منها: سر الصناعة، تفسيرديوان المتنبي الكبير، تفسيرمعاني ديوان المتنبي، اللمع في العربية كتاب الألفاظ المهموزة التهذيب، وغيرذلك من الكتب التي تشير إلى طول باعه في علمه24

يقدم ابن جني الخصائص على بهاء الدولة الذي تولى الملك في بغداد ومع الخضوع للخليفة العباسي سنة 379 هـ إلى سنة 403 25 فكان تأليفه أو إظهاره أو إخراجه إلى النور إذن بعد وفاة أستاذه أبي علي (377 هـ) كما أن إشارته في الخصائص تدل على أنه وصل في قضايا صوتية وصرفية عدة إلى مراحل كبيرة من النضج كما يتجلى ذلك في الخصائص26

فالكتاب يبحث إذن في خصائص اللغة العربية، يتقدمها حديث مفصل عميق في قضايا لغوية عامة مثل حديث عن الفصل بين الكلام والقول 27 وفيه كثير من سمات نهج ابن جني وهي الشغف بالاشتقاق والتقليبات والتصريف وشح الدلالات وبيان الفروق الدقيقة وتقديم الشواهد المختلفة من القرآن، شعرا ونثرا، فهو يطرح تعريفات تنشئ للكلام والقول للتمييز بينهما تميزا حادا واضحا وفي أثناء ذلك الموضوع الأساسي يستطرد في مشكلات صرفية أو نحوية أو دلالية جزئية ثم يعود على الموضوع المحور ثم ينتقل على مقولات متصلة بهما وهي (القول على اللغة، ثم النحو ثم الإعراب ثم البناء)، وهو تناول منطقي منظم ثم يعرج على قضية فلسفية أثيرت منذ فترة مبكرة من تاريخ الفكر الإسلامي وهي القول على أصل اللغة إلهام هي أم اصطلاح ؟ ويطرح الأفكار والآراء التي وردت فيها ويناقش هذه الأفكار ويظهر وجهة نظره ويسعى في الاستدلال على صواب ما انتهى إليه، ثم ينتقل إلى قضية تتصل ببناء الأبنية الصرفية والتراكيب النحوية في العربية28، وهي قضية الاطراد والشذوذ، فيعرفها أولا ثم يبين أقسامها ثم يفصل كل منها في تفصيل هكذا يستمر في كتابه ينتقل من صبحت مجاور له متصل به، ويعالج أصول العربية الأساسية (السماع والقياس والاستحسان)ويفصل في درس العلل فقد أراد أن يبحث عن علل النحو بحثا دقيقا ويكشف عن منزلتها من علل المسلمين وعلل الفقهاء، ويخرج منه إلى قضايا صرفية ونحوية جزئية ومتعددة كحادثة، في استطراد يكاد على نحو ما يخرجنا من الموضوع الأساسي وينتقل من باب إلى باب ومن فن إلى فن وفي صورة موسوعية متشعبة29

بعد أن أهدى ابن جني الكتاب إلى بهاء الدولة كعادة العلماء أنه ذكر في مقدمته هذا ... لم أزل على عدد فارط الحال، وتقادم الوقت ملاحظا له، وأما أن نجد سبيلا أصله به، أو خللا ارتقه بعمله ... واعتقاده فيه أنه أشرف ما صنف في علوم العرب وأذهبت في طريق القياس والنظر ... وأجمعه للأدلة على أودعته هذه اللغة الشريفة لاحظا نص الحكمة، ونيطة به من علائق الإتقان والصنعة ...

ولم ير ابن جني من علماء البلدين من ذهب إلى ذلك الامتناع جانبه عليهم وهو التعرض لعمل أصول النحو، على مذهب أصول الكلام والفقه، ,إن ذكر أبو بكر بن السراج حرف أو حرفين من ذلك في أصوله، كما ألف أبو الحسن الأخفش شيء من المقاييس كتيبا، فأراد ابن جني أن يجمع خصائص العربية في هذا الكتاب.

يبدأ الكتاب بالفصل بين القول والكلام، ثم يعرف اللغة والنحو والإعراب والبناء حتى تكون مادة الكتاب داخله تحت هذه التعريفات، تعريف الشيء يدخل ما ليس منه كما أنه يدفع إلى

استقصاء الموضوع عن طريق معالجة هذا التعريف، وهي طريقة مبتكرة لعلماء القرن الرابع30

بدءا بابن السراج وانتهاء بابن جني وابن فارس (ن 395 هـ)، ثم يتحدث عن نشأة اللغة والقول على أصلها العام هي مواضعة أم اصطلاح فيعالج موضوعه كأفضل لغوي عرفته العربية في تاريخها القديم ومنها إلى ذكر علل العربية ومنهج دراستها ومقاييسها، وفي تسريح اللفات، وتركب اللغات أو تداخلها وما قيس على كلام العرب لينتهي الجزء الأول ثم يتناول أصل اللغة واختلاف اللغات وكلها حجة [31]، ثم يعالج علاقة اللفظ بالمعنى وعلاقة بناء الألفاظ بمعانيها فالاشتقاق الأكبر ثم الإدغام، والخصائص الصوتية للغة، فشجاعة العربية ... ثم يبدأ الجزء الثالث بباب في حفظ المراتب وينتهي بباب في المستحيل وصحة قياس الفروع على فساد الأصول. وبهذه الموضوعات يعد الكتاب المرجع الأساسي في موضوعاته بما حمله من فكر متأن مستقصي لعالم كبير وهو ابن جني[32].

ومن يقرأ الخصائص لابن جني يجد أنه أمام صرح من صروح اللغة العربية لما يحويه هذا الكتاب من آراء ثاقبة، ومعلومات قيّمة في اللغة، والنحو والتصريف، والأصوات والدلالات وفيها يستقصي مباحثه ينقل عن العلماء السابقين عليه كالخليل وسيبويه وابن على الفارسي وغيرهم من علماء البلدين، كما يستشهد بالشعر والقصص ويجول في فنون المعرفة، ويستطرد لما هو بسبيله وهو ينقل بعض الشيء من الجاحظ في استطراده وتنويعه وخروجه من باب إلى باب ومن فن إلى فن.

فابن جني أول من حد اللغة بأنها أصوات يعبربها كل قوم عن أغراضهم، ومن التعريف ينطلق في دراسة اللغة، وهكذا يعرف النحو بأنه انتماء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحفيز، والتكسير والإضافة والنسب والتراكيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أصل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وان لم يكن منهم33 ..وهو الإبانة على المعاني بالألفاظ والبناء ولزوم آخر الكلمة ضربا واحدا من السكون أو الحركة لا لشيء أحدث ذلك من العوامل أما الغرض في مسائل التصريف فهو عنده على ضربين : أحدهما الإدخال لما تبينه في الكلام، والإلحاق له به ، والآخر التماسك ، الرياضة به والتدرب بالصنعة فيه34

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه لا بد من استقراء ما جاء في خصائص ابن جني والتي تثبت الطابع الاجتماعي للغة حيث قال: «إن اختلاف الألفاظ والتعابير.. إنما هو لغات تداخلت فتراكبت. ومفاد كلامه، أن لغة القوم في البيئة العربية وغيرها كانت مختلفة ومتداخلة،

والذي ساهم في تداخلها هو لا شك التكلم، أو بمعنى أصح المجتمع إن تقصي كتاب الخصائص يستجلى من خلاله التنوع اللغوي الذي توزع إلى العديد من المناطق كلغة حمير ولغة قريش ولغة بني نزار[35]

مقاييس اللغة والمجمل لابن فارس:

المقاييس من الكتب اللغوية التي ظهرت في القرن 4 هـ ومعنى ذلك أنه جاء بعد أن جمعت المادة اللغوية في المعاجم السابقة عليه، من هنا اتجه ابن فارس إلى التعميق في الدراسة واتجه إلى وجهات جديدة في هذا المعجم وهي الكشف عن الأصول كما بين في غرضه من تأليف هذا المعجم[36].

فمعجم مقاييس اللغة من أوفى معاجم الاشتقاق مادة وأجودها تصنيفا وأقومها ترتيبا وأحسنها عبارة وأبينها تفسيرا، وفيه يقول الأستاذ عبد السلام هارون مادحا منوها، لا يختلف اثنان بعد في النظر فيه، أنه فذ في بابه ، وانه مفخرة من مفاخر التأليف العربي ولا أخال لغة في المعاجم ظفرت بمثل هذا الضرب من التأليف، ولقد أضفى ابن فارس عليه من جمال العبارة الذي اتبعه، يبين أنه لم يكن يريد أن يدون معجما يجمع المفردات اللغوية، وأنه كان يفلسف المشتقات اللغوية ويربط بعضها ببعض بواسطة أصول عامة، فكان الهدف الأول عنده استنباط هذه الأصول العامة أو المقاييس التي سمي الكتاب باسمها وإبانة كيف تفرعت الصيغ عنها[37].

أما كتابه مجمل اللغة فيصفه ابن فارس بقوله: «من مرافق هذا الكتاب قرب ما بين طرفيه، وصغر حجمه، ومنها حسن ترتيبه، وفي ذلك توطئة سبيل مذاكرة اللغة، ومنها أمنة قارئه المتدبر له من التصحيف، وذلك أني خرجت على حروف المعجم، فجعلت كل كلمة أولها همزة في كتاب الهمزة، وكل كلمة أولها باء في كتاب الباء، حتى أتيت على الحروف كلها، فإذا احتجت إلى الكلمة، نظرت إلى أول حروفها، فالتمسها في الكتاب الموسوم بذلك الحرف فإنك تجدها"[38].

ويلخص منهجه فيه فيقول: «وقد ذكرنا الواضح من كلام العرب، والصحيح منه دون الوحشي المستنكر، ولم نأل في اجتباء المشهور الدال على غريب آية، أو تفسير حديث أو شعر، والمتوخى في كتابنا هذا، من أوله إلى آخره، التقرب والإبانة، عما ائتلف من حروف العربية، فكان كلاما، وذكر ما صح من ذلك سماعا، أو من كتاب لا يشك في صحة نسبه، لأن من علم أن الله عند مقال كل قائل، فهو حري بالتحرج من تطويل المؤلفات، بمستنكر الأقاويل وشنع الحكايات.."[39].

ومما سبق نلاحظ الخطوات التي الأساسية التي طبقها علماء اللغة في المنهج الألسني "ذات علاقة واضحة مع خطوات المنهج التجريبي في العلوم الطبيعية، وذلك من حيث الاعتماد على الملاحظة العامة والخاصة، ثم التقدم بفرض ومحاولة التحقق منه عن طريق التجربة، ومنه إلى صياغة قانون عام، يعادله في الألسنية، النظرية العامة"[40].

ويضيف مشال زكريا:".. يقوم المنهج الألسني على سلسلة من العمليات والخطوات الأساسية.. منها: ملاحظة الأحداث والمعطيات اللغوية ورصد تشابهاتها الجزئية وصياغة بعض التعليمات بهذه الأحداث المتماثلة والمتشابهة قصد إحداث بعض التعديلات في الوقائع التي تم ملاحظتها، وعلى أساسها يتم التقدم ببعض الفرضيات لتفسيرهذه الأحداث، وهي مرحلة الفرض. ثم محاولة التأكد من ملاءمة هذه الافتراضات للواقع اللغوي، وذلك من خلال القيام بملاحظات جديدة وهي مرحلة التجربة ثم تليها مرحلة بناء النظرية القائمة على هذه الافتراضات التي تفسر عمل اللغة بصفة عامة[41].

ولنا أن نقول إن ما قام به هؤلاء العلماء الأجلاء، بدراسة كل ما يتعلق بعلوم اللغة، فكانوا إزاء مجموعة كبيرة من المادة اللغوية، وكان عليهم بتنظيمها، فأجادوا وأحسنوا في ذلك، فالقارئ لهم، تستوقفه تلك التفاصيل الهائلة في حياة الأمة العربية، وما دونوه عنها، ودليل وعيهم وإحاطتهم بالمعرفة الواسعة ذات الطابع الشمولي.

كما لا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى اجتهادات اللغويين القدامى واهتمامهم بموضوع آخر من اللسانيات الاجتماعية أو ما يعرف بالأعلام المكانية ".. حيث أدرجت في متونهم أعلام كثيرة، فظهرت بموازاتها مؤلفات وكتب تجرد الأعلام المكانية وتنبئ بأخبارها وما يحدوها من دلالات نجد في مقدمة الكتب القرآن الكريم الذي ضمنه الله عز وجل أسماء أماكن كثيرة "[42].

بعده تواتر النقاد والمؤلفون بداية بالأصمعي، حيث أشار في مصنفه "اشتقاق الأسماء" إلى أسماء القبائل..، أضف إلى ذلك "معجم البلدان «لياقوت الحموي، و"صورة الأرض" لابن حوقل..،كلها مؤلفات ضمت العديد من الأعلام المكانية لكن الغرض من هذه المصنفات كان دراسة اللغة وطبيعتها الاشتقاقية ،أو التعرف على المظاهر الاجتماعية والجغرافية للعرب ،ولم تكن لدراسة الأعلام دراسة لغوية محضة[43].

خاتمة:

إن الحاجة الماسة لدراسة اللغة تنبع من أنها المفتاح لفهم الكثيرمن السلوك البشري الخاص بالأفراد أو التفاعل بينهم، لأن الإنسان يدرك علاقته بالعلم ومناهج عمله وهدفه فيه، بناء على البنية اللغوية التي يستعملها ،ومن هنا فإن البشر يرون الحقائق نفسها

بطرائق مختلفة ويعبرون عن إدراكاتهم بصـــور لغوية مختلفة تماما ولا تدرك إلا بالتواصـــل وعليه لا يحدث تواصـــل اجتماعي بدونه وإذا حاولنا تأمل دراســـات المعجمية فإننا نجد أن الكلمات الأســاســية أو الرئيســية التي تكون اللســانيات الاجتماعية لها منظومات فرعية تفهم ضـــرورة في ثقافة معينة،وهكذا يرتبط البحث المعجمي بالثقافة وعلم الدلالة في نفس الوقت ،وتتحول المعجمية مع تحول المجتمع.

والنتيجة في هذا أن المتأمل في حركة الفكر اللغوي يجد متاحات فكرية وعلمية على مستوى لم يكن متاحا لكل المبدعين في هذا الصدد، بمعنى أن جيل مفكري القرون الأولى بعد الإسلام هم من شكلوا ملامح المرحلة، فنستطيع أن نتبين سيادة الجانب العقلاني في الفكر اللساني عند ابن جني، الفراهيدي، ابن فارس .....

وهنا نســـتطيع أن نقر أن إبداع هؤلاء الرواد لم يكن حركة للتدوين والتأليف، وإنما حركة فكر ريادي يتكئ في اندفاعه على حســـن تكاملي كان يســـيطر على حركة أولئك الرواد في حركة إبداعهم الفكري واللغوي.

الهوامش:

1 Joseph stumpf, A propos de la philosophie du langage. 1997.v6.n21, p11

2 -الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربي، عبدالرحمن الحاج صالح،ندوة اتحاد الجامعات العربية،جامعة الجزائر، 1984،ص1

3 -عبدالسلام المسدي،التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية،تونس،ط1981،1،ص26

4 - ،ماوراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية ،مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله للنشر والتوزيع ،تونس،1994،ص108

5 -عامر بن شتوح، الدرس اللساني ومساره التطوري،مجلة علوم اللسان،مخبر علوم اللسان، جامعة عمار ثليجي، الأغواط،ع 7، ديسمبر 2014، ص66.67

6 -المرجع نفسه

7 - ذهبية حمو الحاج،لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو،الجزائر، 2005، ص21

8 - سفر التكوين،الإصحاح الثاني:19-20.

9 ابن جني،الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط4،ج1، ص 45.

10 - المرجع نفسه،ص45.

11 - علي القاسمي. علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان، ط1، 2008م ،ص 31.

12 -نور الهدى لوشن. مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 46.

13 علي القاسمي. علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ص 33.

14 --نور الهدى لوشن. مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية، 2006 ص 47.

15 -المرجع نفسه.

16 -عيسى بن إبراهيم الربعي،الأمالي العمانية، تح :هادي حسن حمودي، وزارة التراث القومي، سلطنةعمان،1992، ص06

17-سعيد حسن بحيري : المدخل إلى مصادر اللغة العربية، ص 255.

18-عبدالحميد أبو السكين: المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، ص32.

19-حسين نصار:المعجم العربي نشأته وتطوره، ج1،مكتبة مصر للطباعة، ط4 ،1988 ،ص174.

20 -المرجع نفسه، ص185

21 -المرجع نفسه

22 -ابن جني: المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة ،تع مروان العطية وشيخ راشد،دار الهجرة دمشق ،ط1988،1،ص9

23-ابن جني : الخصائص، ص159.

24-ينظر : عز الدين إسماعيل، المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي،ص341.

25-ابن جني :الخصائص، ص29.

26-سعيد حسن بحيري: المدخل إلى مصادر اللغة العربية ،ص208.

27-عز الدين إسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي ،ص341.

28-سعيد حسن بحيري :المدخل إلى مصادر اللغة العربية ،ص209.

29-المرجع نفسه،ص209.

30-أحمد زلط .أحمد محمد عطا : مصادر التراث العربي،جامعة قناة السويس،الإسماعيلية،2006.2007م،ص66.

31--ابن جني،الخصائص ،ص36.

32 أحمد زلط .أحمد محمد عطا : مصادر التراث العربي ص66

33-المرجع نفسه::ص66.67.

34-المرجع نفسه ص67.

35-لغزال محمد،اللسانيات الاجتماعية..أية علاقة؟وأي تجاذبات؟مجلة الكلم، مج6، ع1، 2021، ص256

36 -علي عبد الحميد محمد أبو سكين: المعاجم العربية مدارسها ومناهجها ،ص82.

37-المرجع نفسه،ص72.

38 -غالي وجد رزق،المعجمات العربية ،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،القاهرة،1971،ص244 .

39 -المرجع نفسه.

40 -الزاوي بغوره ،اللسانيات وفسلفة اللغة بين التأسيس والنقد،مجلة اللغة العربية،ع24 جامعة الكويت،ص45 .

41 -مشال زكريا،الألسنية-علم اللغة الحديث-المبادئ والأعلام،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ط1985،2،ص143 .

42 -لغزال محمد،اللسانيات الاجتماعية...أية علاقة ؟وأي تجاذبات؟،ص265.266 .

43 المرجع نفسه.

المراجع:

1. عبدالرحمن الحاج صالح،الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربي، ندوة اتحاد الجامعات العربية،جامعة الجزائر، 1984.
2. عبدالسلام المسدي،التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية،تونس.
3. عبدالسلام المسدي ،ماوراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية ،مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله للنشر والتوزيع ،تونس،1994.
4. عامر بن شتوح، الدرس اللساني ومساره التطوري،مجلة علوم اللسان،مخبر علوم اللسان، جامعة عمار ثليجي، الأغواط،ع 7، ديسمبر 2014،
5. ذهبية حمو الحاج،لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو،الجزائر، 2005.
6. نور الهدى لوشن. مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية، 2008.

7.علي القاسمي. علم المصطلح، أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان، ط1، 2008م.
8.عيسى بن إبراهيم الربعي،الأمالي العمانية، تح :هادي حسن حمودي، وزارة التراث القومي، سلطنةعمان،1992.
9.سعيد حسن بحيري، المدخل إلى مصادر اللغة العربية مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2، 2008 م.
10.علي عبدالحميد أبو السكين، المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ،ط2 ،1981م.
11.حسين نصار:المعجم العربي نشأته وتطوره، ج1،مكتبة مصر للطباعة، ط4 ،1988.
12.ابن جني، المبهج في تفسيرأسماء شعراء الحماسة ،تع مروان العطية و شيخ راشد،دار الهجرة دمشق ،ط.1988 .
13.ابن جني، الخصائص،ت محمد علي النجار،بيروت،دار الهدى للطباعة والنشر،ط2 ،د ن.
14.عز الدين إسماعيل، المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي. دار العودة و دار الثقافة ، بيروت ، ط3 ، 1981.
15.أحمد زلط . أحمد محمد عطا : مصادر التراث العربي،جامعة قناة السويس،الإسماعيلية،2006.2007م.
16.لغزال محمد،اللسانيات الاجتماعية..أية علاقة؟وأي تجاذبات؟مجلة الكلم، مج6، ع1، 2021,
17.غالي وجد رزق،المعجمات العربية ،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،القاهرة،1971.
18.الزاوي بغوره ،اللسانيات وفسلفة اللغة بين التأسيس والنقد،مجلة اللغة العربية،ع24 جامعة الكويت.
19.مشال زكريا،الألسنية-علم اللغة الحديث-المبادئ والأعلام،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ط1985.
20.Joseph stumpf, a propos de la philosophie du langage ,1997,n.6v.

لنقتبس من المؤلف:

عبد المالك قرل، «المنطلقات الفلسفية اللغوية للفكر اللساني الاجتماعي في التراث العربي» ، المجلد 07، الرقم ص ص 237-249 ، https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4801